obeikandl.com

الفصل الأول
سلطنة الملك المعز عز الدين أيبك

obeikandl.com

السلطان الملك المعز عز الدين أيبك[1] بن عبد الله[2] الصالحي المعروف بالتركماني هو أول ملوك دولة المماليك الترك[3] بالديار المصرية، وهو وإن كان معروفًا بالتركماني فهو تركي الأصل والجنس، أما التصاق نسبة التركماني به فتعود إلى أنه كان أولًا مملوكًا لبيت فخر الدين أولاد التركماني[4]، فعرف بين المماليك البحرية بأيبك التركماني، ثم انتقل بعد ذلك للملك

---

[1] أيبك هو اسم مركب من لفظين تركيين هما: "أي" ومعناها القمر، و "بك" ومعناها الأمير، ويعلق المرحوم أ.د محمد مصطفى زيادة محقق كتاب السلوك للمقريزي على ذلك بقوله: "ويلاحظ أن أسماء معظم سلاطين المماليك وأسماء كل أمراء دولتهم تقريبًا عبارة عن أسماء أشياء أو حيوانات في اللغات التركية والفارسية والترية، مثل بيبرس ومعناه الأمير فهد، وقلاوون ومعناه البطة، وطوغان ومعناه الصقر، وبكتمر ومعناه الأمير حديد. ومن أسمائهم أيضًا ما يدل على صفات في إحدى اللغات المتقدمة ومنها سلار ومعناه الهاجم، وأزبك ومعناه النبيل.
أنظر: المقريزي، السلوك، جـ 1، ص 368 هامش (2).

[2] انقطعت صلة المماليك الذين كانوا يباعون صغارًا في مصر والشام بآبائهم الأصليين الذين أنجبوهم في بلادهم الأولى، ولهذا جاء في معظم وثائقهم أسماؤهم الأولى متبوعة بابن عبد الله، ولكن ليس معنى هذا أنهم كانوا يجهلون أسماء آبائهم كما اعتقد بعض الباحثين، إذ أن أعمارهم وقت مبيعهم كان يتراوح ما بين السابعة والخامسة عشر عامًا، أي أنهم يدركون أسماء آبائهم، لهذا كان بعضهم الذين يصبحون أمراءًا كبارًا ولهم نفوذ يرسلون في إحضار أهاليهم من بلادهم الأصلية مثل الأمير برقوق الذي تسلطن فيما بعد قد أحضر أهله وعلى رأسهم أبيه أنص (أنس) من بلاد الجركس.

[3] كان معظم سلاطين دولة المماليك الأولى التي عرفها الباحثون باسم "المماليك البحرية" أتراكًا، ومعظم سلاطين دولة المماليك الثانية التي عرفها الباحثون باسم "المماليك الرجية" جراكسة.

- وقد ذكر ابن تغري بردي موالًا من بيتين أنشدهما شاعر في ترتيب السلاطين الترك الذين تعاقبوا على حكم مصر ممن مسهم الرق غير أولادهم – فقال:

أيبك قطز يعقبو بيبرس ياذا الدين بعدو قلاوون بعدو كتبغا لاجين
بيبرس برقوق بعدو شيخ ذو التبيين ططر برسباى جقمق صاحب التمكين

وبيبرس في البيت الأول هو الظاهر بيبرس البندقداري، وفي البيت الثاني هو المظفر بيبرس الجاشنكير.
ثم عقب على ذلك فقال: "قلت: هذا قبل أن يتسلطن الملك الأشرف إينال العلائيُ، فلما ملك إينال قلت أنا:

أيبك قطز يعقبوا بيبرس ذو الأكمال بعدو قلاوون بعدو كتبغا المفضال
لاجين بيبرس برقوق شيخ ذو الأفضال ططر برسباى جقمق ذو العلا إينال

أنظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جـ 7، ص 3-4.

[4] أولاد التركماني هم بنو رسول الذين استقلوا باليمن، وأصل نسبتهم إلى التركمان مع أنهم عرب غساسنة – حسبما ذكر الخزرجي في كتابه العقود للؤلؤية ص 27-28 – أنهم أتوا من بلاد التركمان إلى بغداد في خلافة المستنجد بالله (555- 566هـ/ 1160- 1170م) فنسبهم من يعرف إلى غسان، ونسبهم من لا يعرفهم إلى التركمان، وكانوا بيت شجاعة ورئاسة، وكان محمد بن هارون جليل القدر فيهم فأدناه الخليفة العباسي واختصه برسائله إلى الشام وإلى مصر، فأطلق عليه اسم رسول وشهر به، ثم انتقل محمد بن هارون من العراق إلى الشام ومن الشام إلى مصر فيمن معه من أولاده، فلما استوثق الملك لبني أيوب في مصر لم يزل=

الصالح نجم الدين أيوب فعرف بالصالحي، وترقى عنده في الخدم حتى صار أحد الأمراء الصالحية، وعمله جاشنكيرًا[1]، إلى أن مات الملك الصالح وقتل بعده ابنه الملك المعظم توران شاه، فصار أيبك مقدم أو أتابك العساكر[2] مع شجر الدر، إلى أن قرر أن يكون السلطان رجلًا فتزوجته[3] فنزلت له عن السلطنة[4].

وقد تولى أيبك ملك مصر يوم السبت 29 ربيع الآخر 648هـ/ 30 يوليو 1250م، وتلقب بالملك المعز عز الدين، وأوكب في هذا اليوم موكبًا سلطانيًا، فركب بالصناجق

=معهم عصبة من بني رسول، فأجمع رأيهم على تسييرهم إلى اليمن صحبة الملك المعظم توران شاه بن أيوب، فخرجوا صحبته، ومن هنا بدأت علاقة بني رسول باليمن.
المقريزي، السلوك، جـ 1، ص 368، هامش (3).

(1) الجاشنكير اسم وظيفة مركب من لفظين فارسيين: أحدهما جاشنا ومعناه الذوق، والثاني كير ومعناه المتعاطي لذلك، أي أن المعنى الاجمالي هو الذي يذوق، أي أن مهمته أن يتذوق الطعام والشراب قبل أن يتناوله السلطان أو الأمير خشية أن يكون مسمومًا، ولذلك كان له بطبيعة الحال الإشراف التام على إعداد الطعام والشراب ومراقبة من يقومون بذلك والتأكد من اخلاصهم، ومن هنا كان له الإشراف على السماط (مائدة الطعام) مع الاستادار، كما كان يقف معه على السماط أثناء جلوس السلطان عليه، وكان الجاشنكير أمير مائة مقدم ألف، وكانت ترتيب وظيفة الجاشنكيرية هي الحادية عشرة من خمس وعشرين وظيفة يتولاها عسكريون في بلاط السلطان المملوكي، وكان للجاشنكير معاونون.
القلقشندي، صبح الأعشى، جـ 4، ص 21، جـ 5، ص 460؛ حسن الباشا، الفنون الاسلامية والوظائف، جـ1، ص 343-346.

(2) أتابك مصطلح من كلمتين تركيتين هما "أطا" بمعنى أب "وبك" بمعنى أمير، وقد قلبت الطاء تاءً في الاستعمال، وقد نشأت هذه الوظيفة في المجتمع التركماني القديم وكانت مهمته آنذاك هي الوصاية على أولاد السلطان ورعايتهم، ثم تطورت وظيفة الأتابك وأصبح بمثابة القائد العام للجيش فأصبح يطلق عليه أتابك العساكر أو أتابك العسكر، وصار ترتيب هذه الوظيفة هي الثانية في البلاط السلطاني المملوكي بعد وظيفة النائب (نائب السلطنة)، وكان السلطان يكلفه برئاسة الحملات والتجريدات العسكرية لقتال الأعداء أو تأديب العصاة والمارقين.
القلقشندي، صبح الأعشى، جـ 4، ص 18؛ حسن الباشا، الفنون الاسلامية، جـ 1، ص 3-20.

(3) من المنطق أن يكون زواج أيبك بشجر الدر قد تم عند تنازلها عن السلطنة وتوليته وقد ذكر هذا بعض المؤرخين.
إلا أن بعضهم الآخر جعل هذا الزواج في سنة 649هـ / 1251م ومنهم بيبرس المنصوري الدوادار الذي ينقل عنه العيني (عقد الجمان، جـ 1، ص 53-54)، أما أبو الفدا ففي كتابه المختصر، جـ 3، ص 229 ذكر أن الزواج كان في سنة 652هـ أو سنة 653هـ.

(4) المقريزي، السلوك، جـ 1، ص 367-368.

والعصائب والبنود[1]، وجميع الأمراء بين يديه، وتبادلوا حمل الغاشية[2] وأول من حملها الأمير حسام الدين ابن أبي علي نائب السلطنة بمصر، وشق الموكب القاهرة إلى أن طلع إلى مقر الحكم في قلعة الجبل، وتم أمره في السلطنة وخطب له على المنابر، ونودي بالزينة فزينت القاهرة ومدينة مصر بهذه المناسبة[3].

وكان اختيار أمراء المماليك لأيبك للسلطنة لأنه "كان مشهورًا بدين وكرم وجودة رأي" حسبما ذكر المقريزي وابن تعزي بردي[4]، وهذا هو الرأي الظاهر؛ أما السبب الرئيسي الذي جعلهم يختارونه أنه كان من بين البحرية مجموعة من الأمراء الأقوياء يتنافسون فيما بينهم، وكانوا يخشون بعضهم بعضًا، ويخشاهم الناس جميعًا، فاختاروه لإرضاء العامة بالرغم من أنه كان من أوسط الأمراء ولم يكن من أعيانهم، ورأى فيه زعماء البحرية: أقطاي وبيبرس وقلاوون وسنجر، وغيرهم، الشخص المناسب لتلك المرحلة الحرجة إلى أن تستقر الأحوال، لاعتقادهم أنه سهل "ومتى أردنا صرفه أمكننا ذلك لعدم شوكته[5]".

إلا أن الصعاب والتحديات سرعان ما واجهت السلطان الجديد المعز أيبك في الخارج والداخل، وتمثل الخطر الخارجي في ملوك الأيوبيين ببلاد الشام الذين فوجئوا أن مماليكهم صارت لهم السلطنة في مصر وقد يتعرضون هم بالشام لمثل ذلك، فقد كانوا يعدون العدة

---

(1) الصناجق والعصائب والبنود المقصود بها الأعلام والرايات، وهي من رسوم السلطنة المملوكية، والصناجق هي رايات صفر صغار، والعصائب هي الرايات الكبيرة المصنوعة من الحرير المطرز بالذهب باسم السلطان وألقابه، والبنود هي أيضًا أعلام.
القلقشندي، صبح الأعشى، جـ4، ص 8.

(2) الغاشية هي أيضًا من شعائر ورسوم السلطنة المملوكية، وهي على هيئة سرج من جلد محزوزة بالذهب يخالها الناظر أنها كلها مصنوعة من الذهب، يحملها الركاب دار (الركابدار) رافعًا لها على يديه يلفتها يمينًا وشمالًا، وقد انتقلت من الرسوم الدولة الأيوبية إلى الدولة المملوكية.
القلقشندي، صبح الأعشى، جـ4، ص 7.

(3) ابن أيبك الدواداري، الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، وهو الجزء الثامن من كتابه كنز الدرر وجامع الغرر، ص 12-13؛ المقريزي، السلوك، جـ1، ص 369؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ7، ص 4-5.

(4) السلوك، جـ1، ص 369؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، جـ3، ص20.

(5) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ7، ص 4.

لغزو مصر أثناء اعتلاء شجر الدر للعرش، وأجَّل تنافسهم فيما بينهم ذلك. أما الخطر الداخلي فتمثل في المماليك البحرية الصالحية الذين عز عليهم أن يتولى أيبك السلطنة وهو ليس منهم، وكان في يوم الأحد ثاني يوم لتمليكه ورد الخبر من الشام أن الملك المغيث فتح الدين عمر صاحب الكرك أخذ الشوبك، وأن الملك السعيد ابن العزيز بن العادل أخذ الصبيبة[1]، فانتهزوا هذا الخبر وقالوا: "لابد لنا من سلطان يكون من بني أيوب يجتمع الكل على طاعته ويرتفع الخلاف[2]"، ومن الواضح أن الهدف الحقيقي للبحرية كان استئثارهم لأنفسهم بالحكم، ولم تكن الدعوة لبني أيوب الإستارًا يخفون وراءه أطماعهم الحقيقية[3].

لذلك فبعد ثلاثة أيام فقط من تولي أيبك السلطنة وهو يوم الأربعاء الثالث من جمادي الأول 648/ 3 أغسطس 1250م وقع اختيارهم على صبي صغير من بني أيوب قيل أن عمره نحو ست سنوات حسب رواية النويري[4]، أو عشر سنوات حسب رواية ابن أيبك[5] ليسلطنوه، وهو موسى بن الملك المسعود صاحب اليمن، وكان هذا الصبي عند عماته المعروفات بالقطبيات نسبة إلى شقيقهم الملك المفضل قطب الدين[6]، فسلطنوه باسم الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن الملك المسعود صلاح الدين يوسف الملقب باتسز ابن الملك الكامل[7]، وجعلوه شريكًا للسلطان المعز أيبك في السلطنة "ليجتمع الكل على طاعته ويطيعه الملوك من أهله[8]".

وهكذا بدت ظاهرة غريبة لأول مرة هي اشتراك سلطانين في حكم مصر[9]، فكانت المراسيم والمناشير تخرج عن الملكين: الأشرف موسى والمعز أيبك، إلا أن الأشرف ليس له

---

(1) ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر، جـ8، ص 13.

(2) العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، جـ 1، ص 35؛ النجوم الزاهرة، جـ7، ص 5.

(3) سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص 16.

(4) نهاية الأرب، جـ29، ص 419.

(5) كنز الدرر، جـ8، ص 13؛ عقد الجمان، جـ 1، ص 35.

(6) ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر، جـ8، ص 13-14. (نقلًا عن ابن واصل).

(7) النويري، نهاية الأرب، جـ29، ص 419؛ العيني، عقد الجمان، جـ 1، ص 35.

(8) المقريزي، السلوك، جـ 1، ص 369.

(9) سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص 16.

سوى الاسم في الشركة لا غير، وجميع الأمور بيد المعز أيبك[1]، وقال ابن أيبك الدواداري: "وكان إذا خرجت المناشير تخرج بعلامة الاثنين ما مثاله: "الله حسبي"، فلفظ الجلالة خط الأشرف، و"حسبي" خط المعز، ونص التوقيع: "خرج الأمر العالي المولوي السلطاني الملكي الأشرفي المظفري والأمر العالي المولوي الملكي المعزي الأتابكي زاد الله في علاهما وضاف مواد نفادهما"، وسير له موكب في اليوم التالي لاختياره للسلطنة وهو يوم الخميس رابع جمادي الأولى[2].

ولكن لم تنطل سلطنة الأشرف موسى هذا على أقربائه من الملوك الأيوبيين ببلاد الشام، وطمع كل واحد فهم في أخذ مصر، وفي تلك الأيام كان في غزة جماعة من عسكر مصر مقدمهم ركن الدين خاص ترك، فاندفعوا إلى مصر لما بلغهم حركة الحلبيين إلى مصر، ونزلوا بالسانح بالشرقية، واجتمعوا واتفقت كلمتهم على طاعة الملك المغيث صاحب الكرك، وخطبوا له بالصالحية يوم الجمعة رابع جمادي الآخرة 648هـ / الثاني من سبتمبر 1250م، فلما ورد الخبر بذلك نودي بالقاهرة ومصر أن البلاد للخليفة المستعصم بالله، وأن الملك المعز أيبك نائبه بها، وجددت الأيمان للأشرف بالسلطنة وللمعز بالأتابكية، وخرجت العساكر بقيادة الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار[3] وهو يومئذ مقدم المماليك البحرية[4] لردع هؤلاء الخوارج الذين دعوا لصاحب الكرك، فهرب زعماء هذا التمرد وهم: الطواشيان شهاب الدين رشيد الكبير وشهاب الدين رشيد الصغير، وركن الدين خاص ترك، وأقوش المشرف، فقبض علمان الرشيد عليه وجاءوا به إلى القاهرة فاعتقل بها، ونجا الباقون، وخرجت الخلع للذين تخلفوا بالسانح بالشرقية وعفى عنهم وطيبت قلوبهم وخرجت لهم النفقة[5].

---

(1) نهاية الأرب، جـ 29، ص 419؛ السلوك، جـ 1، ص 369.

(2) كنز الدرر، جـ 8، ص 14؛ عقد الجمان، جـ 1، ص 35.

(3) جمدار اسم مؤلف من لفظين إحداهما من اللغة التركية جاما أو جامة ومعناها الثوب، والثانية دار الفارسية بمعنى ممسك أو صاحب، فيكون المعنى الاجمالي ممسك الثوب أو الوصيف الذي يلازم السلطان أو الأمير ولإلباسه ثيابه ويشترك أيضًا في حراسته.
القلقشندي، صبح الأعشى، جـ 5، ص 459؛ حسن الباشا، الفنون الاسلامية، جـ 1، ص 356-360.

(4) ظل أمراء المماليك يحتفظون بألقابهم الأولى عندما كانوا أمراءًا صغارًا بالرغم من ترقيتهم لأعلى مراتب الإمارة، فهنا على سبيل المثال ظل اقطاي الذي كان مقدمًا على المماليك البحرية الصالحية البالغ عددهم ألف معروفًا بوظيفته الأولى وهي الجمدار وهي من الوظائف الصغيرة في السلطنة.

(5) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ 3، ص 222؛ ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر، جـ 8، ص 14؛ العيني، عقد الجمان، جـ 1، ص 36.

وقد نقش على السكة اسما السلطانين المعز أيبك والأشرف موسى وخطب لهما على منابر الجوامع[1]، وفي يوم الخميس عاشر جمادي الآخر المذكور ركب الملكان بالصناجق السلطانية وشقا القاهرة[2] إظهارًا لتمكنهم في السلطنة.

وكان الملك الناصر يوسف صاحب حلب والذي استولى أيضًا على دمشق هو أكبر تهديد لدولة المماليك الناشئة، وكانت أول مبادراته لغزو مصر عندما أرسل عساكره من دونه للغزو، لذلك خرجت العساكر المصرية وعددهم ألفان بقيادة الأمير فارس الدين أقطاي من القاهرة لحربه في يوم الأحد خامس رجب 648هـ / 2 أكتوبر 1250م، فوصل بهم إلى غزة وقاتل أصحاب الناصر وهزمهم[3].

ومن الأخبار الهامة التي حدثت في شهر رجب هذا أنه في يوم الخميس تاسع عشرينه (29 رجب 648هـ/ 27 أكتوبر 1250م) اتفق أهل الدولة على نقل جثمان الملك الصالح نجم الدين أيوب من قلعة جزيرة الروضة إلى تربته بقبته التي بنيت له بجوار مدارسه الصالحية من بين القصرين، فخرج الناس يوم الجمعة إلى قلعة الروضة وحملوا الجثمان منها وصلوا عليه بعد صلاة الجمعة، وجميع العسكر قد لبسوا البياض[4]، وقطع المماليك شعورهم، وأقيم عزاؤه ودفن ليلًا، وفي صباح السبت نزل الملكان الأشرف والمعز أيبك من قلعة الجبل إلى القبة الصالحية ومعهما سائر المماليك البحرية والجمدارية والأمراء والقضاة والأعيان، وغلقت الأسواق بالقاهرة ومصر، وأقيم المأتم بالدفوف بين القصرين، واستمر الحضور للعزاء إلى يوم الاثنين، ووضع عند القبر سناجق السلطان وبقجته وتركاشه وقوسه، ورتب عنده القراء على ما شرطت شجر الدر في كتاب وقفها وجعلت النظر منها للصاحب بهاء الدين علي بن حنا وذريته[5].

---

(1) كان نقش اسم السلطان على السكة وذكر أسمه في خطبة الجمعة أهم رسوم وشعائر السلطنة وإعلانًا بشرعية حكمه.

(2) المقريزي، السلوك، جـ 1، ص 370.

(3) المقريزي، السلوك، جـ 1، ص 370؛ العيني، عقد الجمان، جـ 1، ص 36-37.

(4) كان البياض لباس العزاء في العصر المملوكي.

(5) المقريزي، السلوك، جـ 1، ص 371؛ الخطط، تحقيق أيمن فؤاد، مج 4، ص 493.

وفي هذا الشهر جمع قضاء القاهرة ومصر لبدر الدين أبو المحاسن يوسف بن الحسن السنجاري[1].

وعاد الفارس أقطاي من غزة إلى القاهرة في رابع شعبان، وفي خامسه قبض على الأمير زين الدين قراجا أمير جاندار[2] الصالحي، وعلى القاضي صدر الدين قاضي آمد – وكان من كبراء الدولة الصلاحية واعتقلا[3].

ومن الحوادث الهامة التي حدثت في هذا الشهر أيضًا أنه في ثامن عشر منه / 15 أكتوبر 1250م وقع الهدم في مدينة دمياط باتفاق أهل الدولة على ذلك خوفًا من أي هجوم محتمل من الصليبيين مرة أخرى، وقد أرسلوا لتلك المهمة الحجارين والصناع والفعلة من القاهرة، فأزيلت أسوارها ومحيت آثارها، ولم يبق منها سوى الجامع، وسكن طائفة من ضعفاء الناس في أخصاص على شاطىء النيل من قبليها وسموها المنشية، ثم نمت وصارت هي مدينة دمياط القائمة الآن[4].

وفي رابع عشرينه قبض على الأمير جمال الدين النجيني واعتقل، وفي اليوم التالي قبض على أقوش (أقش) العجمي[5].

---

(1) السلوك، جـ 1، ص 371-372.

(2) الجاندار هو الذي يتولى وظيفة الجاندارية وهي الوظيفة التاسعة في ترتيب الوظائف التي يشغلها عسكريون في البلاط السلطاني المملوكي، وهي كلمة مؤلفة من مقطعين: الأول "جان" ومعناها الروح والثاني "دار" ومعناها ممسك في الفارسية والمعنى الكلي الممسك للروح، وموضوعها أن صاحبها يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان، ويقدم البريد مع الدوادار وكاتب السر، وصاحبها كالمتسلم للباب وله به البرد دارية وطوائف الركابية والخازندارية، وإذا أراد السلطان تعزير أحد أو قتله كان ذلك على يد صاحب هذه الوظيفة، وصاحب هذه الوظيفة هو الذي يطوف بالزفة حول السلطان في سفره، وقد جرت العادة أن يكون فيها أميران: مقدم ألف وطبلخاناه. وكان للسلطان فئة من مماليكه تسمى الجاندارية كانوا يحرسونه إلى جانب غير ذلك من المهام.
القلقشندي، صبح الأعشى، جـ 4، ص 20؛ حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، جـ 1، ص 348-350.

(3) ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر، جـ 8، ص 15؛ المقريزي، السلوك، جـ1، ص 371.

(4) أبو الفدا، المختصر، جـ 3، ص 222؛ كنز الدرر، جـ8، ص 15؛ السلوك، جـ 1، ص371؛ العيني، عقد الجمان، جـ 1، ص 37.

(5) المقريزي، السلوك، جـ 1، ص 372.

أما أكبر خطر تعرض له المعز أيبك بل المماليك بمصر كلهم هو خروج الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام وحلب لأخذ مصر بتحريض الأمير شمس الدين لؤلؤ الأميني له على ذلك وتهوينه الأمر عليه، وكان خروجه بعساكره من دمشق يوم الأحد النصف من شهر رمضان 648هـ/ 11 ديسمبر 1250م وقد صحب معه من ملوك الأسرة الأيوبية الصالح اسماعيل بن العادل أيوب، وهو خال أبيه، والأشرف موسى صاحب حمص كان وهو يومئذ صاحب تل باشر والرحبة وتدمر، والملك المعظم فخر الدين تورانشاه ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، ومقدم جيشه الأمير شمس الدين لؤلؤ الذي إليه تدبير المملكة[1].

فلما ورد الخبر بذلك اضطربت الدولة، ورسم بجمع العربان من الصعيد، وقبض على جماعة من الأمراء اتهموا بالميل مع الملك الناصر في يوم الثلاثاء ثاني شوال عندما ورد الخبر بوصوله إلى غزة، وفي غده كثر الإرجاف ووقع التهيؤ للحرب، وأحضرت الخيول من مكان تغذيتها بالبرسيم في غيطان الجيزة[2].

وبدأت عساكر الأمراء في الخروج للحرب وكان أول الأمراء الذين خرجوا الأمير حسام الدين أبو علي الذي خرج في يوم الأثنين ثامنه، وفي تاسعه خرج الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار مقدم البحرية في جمهور العسكر من الترك، وسارت العساكر في حادي عشره واجتمعت بالصالحية[3].

وفي يوم السبت ثالث عشره استناب الملك المعز أيبك بالقاهرة الأمير علاء الدين البندقدار، فواظب الجلوس بالمدارس الصالحية مع نواب دار العدل لترتيب الأمور وكشف المظالم، ونودي يوم السبت العشرين منه بإبطال الخمور والضريبة المعروفة بالجهة المفردة[4]،

---

(1) نفسه؛ ابن حبيب، نهاية الأرب، جـ 29، ص 420؛ أبو الفدا، المختصر، جـ3، ص 222؛ العيني، عقد الجمان، جـ 1، ص 39؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ 7، ص 6.

(2) السلوك، جـ 1، ص 372-373؛ عقد الجمان، جـ 1، ص 39.

(3) السلوك، جـ 1، ص 373.

(4) هي الضريبة المقررة لديوان المفرد وهو الديوان الذي يتولى نفقة المماليك السلطانية من جامكيات وعليق وكسوة، وإيراده من البلاد المفردة له.
القلقشندي، صبح الأعشى، جـ 3، ص 457.

وفيه كثر الإرجاف بوصول الناصر إلى الداروم، وفي تاسع عشرينه أفرج الملك المعز عن الملك المنصور محمود وعلى أخيه الملك السعيد عبد الملك ولدى الملك الصالح اسماعيل وكانا في حبس الملك الصالح نجم الدين أيوب وأخلع عليهما وأركبهما في القاهرة ليوهم الناصر أن الملك الصالح أباهما مباطن له على الملك الناصر حتى يقع بينهما[1].

واستكمالًا لأسلوب أيبك في الإيقاع بين غريمه الملك الناصر وبين حلفائه أنه في يوم الثلاثاء أول ذي القعدة / 24 يناير 1251م نودي بالقاهرة أن الصلح انتظم بين الملك المعز والبحرية وبين الملك المغيث عمر بن العادل صاحب الكرك، ولم يكن لما نودي به حقيقة وإنما قصد بذلك أن يقف الملك الناصر عن الحركة[2].

وفي يوم الخميس ثالثه نزل الملك المعز من قلعة الجبل فيمن بقي عنده من العساكر، وسار إلى الصالحية وبها العساكر التي خرجت قبله، وترك بقلعة الجبل الملك الأشرف موسى، فاستقرت عساكر مصر إلى يوم الاثنين سابعه[3].

ووصل الملك الناصر بعساكره إلى كراع القريبة من العباسة التي تقع بشرق ولاية الشرقية، فتقارب ما بين العسكرين وكان في ظن كل أحد أن النصرة إنما تكون للملك الناصر على البحرية لكثرة عساكره ولميل أكثر عسكر مصر إليه، فاتفق أنه كان مع الناصر جمع كبير من مماليك أبيه الملك العزيز وهم أتراك يميلون إلى البحرية للأصل المشترك بينهم ولكراهتهم في الأمير شمس الدين لؤلؤ مدبر المملكة الشامية[4].

فعندما نزل الناصر بمنزلة الكراع قريبًا من الخشبي بالرمل[5]، ورحل المعز أيبك بعساكر مصر من الصالحية ونزل تجاهه بسموط، وكانت المعركة يوم الخميس عاشر ذي القعدة 648هـ/ الثاني من فبراير 1251م، ورتب كل منهما عساكره في الميمنة والميسرة والقلب، وكانت الوقعة في السابعة الرابعة، وكانت الكسرة أولًا على عساكر مصر ثم صارت على الشاميين[6]: وذلك أن ميسرة المصريين انكسرت وولوا منهزمين إلى القاهرة ومنهم من فر إلى

---

(1) أبو الفدا، المختصر، جـ 3، ص 223؛ المقريزي، السلوك، جـ 1، ص 373؛ العيني، عقد الجمان، جـ 1، ص 40.
(2) المقريزي، السلوك، جـ 1، ص 373.
(3) السلوك، جـ 1، ص 373؛ عقد الجمان، جـ 1، ص 40.
(4) المقريزي، السلوك، جـ 1، ص 373-374؛ العيني، عقد الجمان، جـ 1، ص 40.
(5) تقع هذه المنطقة بين بلبيس والصالحية من الشرقية.
(6) السلوك، جـ 1، ص 374؛ ابن ايبك، كنز الدرر، جـ 8، ص 16؛ عقد الجمان، جـ 1، ص 40.

الصعيد، وخطب في اليوم التالي وهو يوم الجمعة للملك الناصر يوسف صاحب حلب والشام بالقلعة وجامع مصر، وأما بالقاهرة فلم تقم بجامعها جمعة وتوقفوا ليتحققوا، وأيقن كل أحد بزوال دولة المعز أيبك[1]، هذا في الوقت الذي ثبت فيه المعز أيبك في ميدان المعركة وسط ثلاثمائة من عساكره ومعه الفارس أقطاي، وحمل بهم على صناجق (أعلام) الملك الناصر طمعًا أن يكون بجهتها فيظفر به، وكان الملك الناصر تحيز إلى فئة واعتزل المعركة خوفًا على نفسه واحتياطًا لها، فلما عاين حملة الملك المعز وشاهد إقدامه انهزم ورجع إلى الشام. وساقت الأمراء العزيزية –مماليك والده– بأطلابهم (كتائبهم) وإلى خدمة المعز أيبك ودخلوا في طاعتهم وهم: الأمير جمال الدين أيدغدي العزيزي والأمير شمس الدين أقش[2] البرلي والأمير شمس الدين أقش الحسامي وأمثالهم، وذكر النويري أن "سبب انصرافهم عن سلطانهم الملك الناصر أنه أضافهم يوم الحرب إلى طُلب الأمير شمس الدين لؤلؤ أتابكه فعز ذلك عليهم وفارقوا خدمة الملك الناصر[3]".

وفي نفس الوقت اجتمع الأمراء القيمرية وغيرهم إلى شمس الدين لؤلؤ أتابك عساكر الناصر والمحرض على أخذ مصر، وهنوه بالنصر على زعمهم، وتفرقت جماعتهم في طلب المكاسب والغنائم، فلم يبق من مماليكهم إلا نفر قليل، فصادفهم الملك المعز بمن معه من عسكره فقاتلهم، فقتل شمس الدين لؤلؤ، وجماعة من الأمراء القيمرية وهم: حسام الدين وصارم الدين القيمريان، وسعد الدين الحميدي، ونور الدين الزرزاري، وجماعة من أعيان مماليك الناصر، وقتل أيضًا تاج الملوك بن الملك المعظم تورانشاه[4].

وأُسِرَ جماعة وهم: الملك الصالح إسماعيل بن العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب، وأسر أيضًا الملك المعظم تورانشاه بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وأخوه نُصرة الدين، والملك الأشرف صاحب حمص، وشهاب الدين بن حسام الدين القيمري، والأمير حسام الدين طرنطاي العزيزي، والأمير ضياء الدين القيمري وغيرهم[5].

---

(1) ابن تغزي بردي، النجوم الزاهرة، جـ7، ص 6-7؛ العيني، عقد الجمان، جـ1، ص 41.

(2) المقريزي، السلوك، جـ1، ص 375.

(3) النويري، نهاية الأرب، جـ29، ص 420-421؛ ابن أيبك، كنز الدرر، جـ8، ص 17.

(4) نهاية الأرب، جـ29،ص 421.

(5) النويري، نهاية الأرب، جـ29، ص 421؛ ابن أيبك، كنز الدرر، جـ8، ص 17-18؛ المقريزي، السلوك، جـ1، ص 375.

وتمزق أهل الشام كل ممزق، ومشوا في الرمل أيامًا، وسار الملك الناصر ومعه نوفل الزبيدي –سيد عرب زبيد– وعلى السعدي إلى دمشق، وأما العسكر الشامي الذي كسر المصريين فإنه وصل إلى العباسة ونزل بها، وضرب الدهليز الناصري هناك، وفيهم الأمير جمال الدين بن يغمور نائب السلطنة بدمشق وعدة من أمراء الناصر، وهم لا يشكون في أمر المصريين قد بطل وزال، وأن الملك الناصر مقدم عليهم ليسيروا في خدمته إلى القاهرة؛ فبينما هم كذلك إذ وصل إليهم الخبر بهروب الملك الناصر وقتل الأمراء وأسر الملوك وغيرهم، فهمّت طائفة منهم أن تسير إلى القاهرة وتستولي عليها، ومنهم من رأى الرجوع إلى الشام، ثم اتفقوا على الرجوع[1].

وفي نهار الجمعة حادي عشر ذي القعدة وردت الشائر بانتصار المعز وانكسار الناصر، وكان بقلعة الجبل ناصر الدين بن يغمور استادار الملك الصالح عماد الدين اسماعيل، وأمين الدولة أبي الحسن غزال وزيره محبوسين في الجب بالقلعة من أيام الملك الصالح نجم الدين، فلما بلغهما انتصار الناصر وكسر العسكر المصري خرجا من الحبس وأظهرا السرور، ثم لما تحقق نصر المعز أيبك أعيدا إلى السجن ونودي في آخر هذا اليوم، وهو يوم الجمعة بإظهار الزينة[2].

وعاد الملك المعز والبحرية والعساكر المصرية ومن انضم إليهم من العزيزية على غير طريق العباسة خوفًا من الناصرية النازلين عليها فسار على طريق العلاقمة إلى بلبيس فلم يجد بها أحدًا من العسكر، وبلغه أن منهم من دخل إلى القاهرة ومنهم من انهزم إلى الصعيد، فنزل على بلبيس بمن كان معه، إلى أن تحقق عود من سلم من العسكر الشامي، وسار المعز بمن معه من بلبيس ووصلوا إلى القاهرة بكرة يوم السبت ثاني عشر ذي القعدة ودخل المعز ايبك، والملك الصالح عماد الدين اسماعيل قدامه في الموكب تحت الاحتياط فاعتقله بقلعة الجبل في دار، واعتقل الأشرف صاحب حمص والمعظم تورانشاه وأخوه في حبس القلعة، وشنق ناصر الدين بن يغمور، وأمين الدولة الوزير على باب القلعة، ثم أخرج الملك الصالح عماد الدين اسماعيل خارج القلعة من جهة القرافة فقتل ودفن هناك، وكان مقتله في ليلة الأحد السابع والعشرين من ذي القعدة[3].

---

(1) السلوك، جـ 1، ص 376؛ أبو الفدا، المختصر، جـ 3، ص 223؛ العيني، عقد الجمان، جـ 1، ص 41.

(2) المقريزي، السلوك، جـ 1، ص 376–377؛ العيني، عقد الجمان، جـ 1، ص 42.

(3) العيني، عقد الجمان، جـ 1، ص 42؛ النويري، نهاية الأرب، جـ 29، ص 422.

وأمر الملك المعز بشنق من أشار بالخطبة للملك الناصر، وزينت القاهرة ومصر وقلعة الجبل وقلعة الروضة بمناسبة الانتصار واستمرت الزينة عدة أيام[1].

وعظم أمر المعز أيبك بعد هذه المعركة وثبتت قواعد ملكه ورسخت أقدامه[2].

وفي يوم الاثنين رابع عشره شنق ناصر الدين اسماعيل ابن يغمور استادار الصالح اسماعيل، وشنق بكجا ملك الخوارزمي، وأمين الدولة أبو الحسن السامري الوزير، على باب القلعة ومعهم المجير ابن حمدان من أهل دمشق، وظهر لأمين الدولة من الأموال والتحف والجوهر ما لا يوجد مثله إلا عند الخلفاء، بلغت قيمة ما ظهر سوى ما كان مودعًا ثلاثة آلاف ألف دينار، ووجد له عشرة آلاف مجلد كلها بخطوط منسوبة وكتب نفيسة[3].

وفي ليلة الأحد 27 ذي القعدة/ 29 فبراير 1251م قتل الملك الصالح عماد الدين اسماعيل ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بقلعة الجبل وعمره نحو الخمسين سنة، وكانت أمه رومية، وكان رئيس النفس نبيل القدر مطاعًا له حرية وافرة وفيه شجاعة[4].

وفي ثامن عشريه أخرج الملك المعز كل من دخل القاهرة من عسكر الملك الناصر إلى دمشق على حمير، هم وأتباعهم ولم يكن أحدًا منهم أن يركب فرسًا إلا نحو الستة أنفس فقط منهم نور الدين بن الشجاع الأكتع، وكانوا نحو الثلاثة آلاف رجل[5].

وفي 27 ذي الحجة من هذه السنة / 23 مارس 1251م سار الأمير فارس الدين أقطاي بثلاثة آلاف فارس إلى غزة فاستولى عليها ثم عاد إلى الديار المصرية[6].

---

(1) المقريزي، السلوك، جـ 1، ص 378. وعن تفاصيل المعركة كلها أنظر:
السلوك، جـ 1، ص 373-378؛ عقد الجمان، جـ 1، ص 39-44؛ النجوم الزاهرة، جـ 7، ص 6-10.

(2) النجوم الزاهرة، جـ 7، ص 10.

(3) المقريزي، السلوك، جـ 1، ص 378.

(4) السلوك، جـ 1، ص 378-379.

(5) النويري، نهاية الأرب، جـ 29، ص 422؛ ابن أيبك، كنز الدرر، جـ 7، ص 18؛ المقريزي، السلوك، جـ1، ص 379.

(6) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ 3، ص 224؛ المقريزي، السلوك، جـ 1، ص 380؛ ابن أيبك، كنز الدرر، جـ 8، ص 19.

وفي هذه السنة كثر ضرر المماليك البحرية بمصر، ومالوا على الناس وقتلوا ونهبوا الأموال وسبوا الحريم، وبالغوا في الفساد حتى لو ملك الفرنج ما فعلوا فعلهم[1] ..، وفيها أمر الملك المعز ببناء مدرسته التي بدار الملك بمصر على البحر فبنيت[2].

وخرجت هذه السنة والناصر يوسف بدمشق وبيده ملك الشام والشرق، ومملكة مصر بيد الملك المعز عز الدين أيبك التركماني ويخطب معه للأشرف موسى، والمعتمد عليه في أمور الدولة من البحرية ثلاثة أمراء هم فارس الدين أقطاي وركن الدين بيبرس البندقداري وسيف الدين بلبان الرشيدي[3].

حوادث وأخبار سنة 649هـ/1251م

فيها استولى الأمير فارس الدين أقطاي على الساحل ونابلس إلى نهر الشريعة المعروف الآن بنهر الأردن وعاد إلى القاهرة[4] فسير الملك الناصر عسكرًا من دمشق إلى غزة ليكون بها، فأقاموا على تل العجول، فخرج الملك المعز أيبك ومعه الأشرف موسى والفارس أقطاي وسائر البحرية ونزل بالصالحية، فأقام العسكر المصري بأرض السانح قريبًا من العباسة، والعسكر الشامي قبالته، وترددت الرسل بينهما لمدة ستة أشهر[5].

وفيها أحدث الوزير الأسعد الفائزي ظلامات عديدة على الرعية[6]، وفيها أمر الملك المعز أيبك بإخلاء قلعة الروضة، فتحول من كان فيها من المماليك والحرسية وغيرهم إلى قلعة الجبل، وكان هذا بداية لتخريب قلعة الروضة[7].

وفيها في شعبان عزل قاضي القضاة عماد الدين أبو القاسم إبراهيم ابن هبة الله بن اسماعيل بن نبهان الحموي المعروف بابن المقنشع عن القضاء بمدينة مصر (الفسطاط) والوجه

---

(1) السلوك، جـ 1، ص 380؛ العيني، عقد الجمان، جـ 1، ص 44.

(2) العيني، عقد الجمان، جـ 1، ص 44.

(3) المقريزي، السلوك، جـ 1، ص 380.

(4) نفسه، ص 381.

(5) أبو الفدا، المختصر، جـ 3، ص 224؛ النويري، نهاية الأرب، جـ 29، ص 423؛ المقريزي، السلوك، جـ1، ص 381.

(6) السلوك، جـ1، ص 381.

(7) السلوك، جـ 1، ص 381.

القبلي، وأضيف ذلك إلى قاضي القضاة بدر الدين السنجاري، فاجتمع له حينئذ قضاء القضاة بالمدينتين – أي القاهرة ومصر – والوجهين القبلي والبحري ولم يجتمعا له قبل ذلك[1].

وفيها سافر الأمير حسام الدين أبو علي إلى الحجاز عن طريق سفره بالنيل إلى قوص ومنها إلى عيذاب علي البحر الأحمر ثم ركب البحر إلى جدة[2]. وفيها أشيع وصول البادرائي رسول الخليفة العباسي ليصلح بين الناصر والمعز[3].

وفيها قصد الأمير جماز بن شيحة المدينة النبوية – على ساكنها أفضل الصلاة والسلام – وقبض على أخيه عيسى وأقام بالمدينة[4]. وفيها وقع بمكة غلاء عظيم[5].

حوادث وأخبار سنة 650هـ/ 1252م

وفيها قدم الأمير حسام الدين أبو علي من الحجاز فنزل في المعسكر من أرض السانح بالصالحية[6]، هذا والخلاف قائم بين الملكين: الناصر صاحب دمشق وحلب والمعز صاحب الديار المصرية، وعساكرهما مجردان دون حدوث قتال بعد[7].

وقدم من بغداد الشيخ نجم الدين البادرائي رسولًا من الخليفة للإصلاح بين الملكين، فتلقاه بدر الدين الخضر بن الحسن السنجاري من قطيا بشمال سيناء بطريق الشام ومعه جماعة، وتحدث معه في ذلك، فأراد الناصر أن تقام له الخطبة بديار مصر وتضرب السكة باسمه، فلم يرض الملك المعز، وقالت البحرية: "نحن خلصنا مصر والشام بسيوفنا من أيدي الفرنج، ولا صلح بيننا إلا أن يكون لنا من غزة إلى العقبة"، فامتنع الناصر أيضًا من ذلك[8].

وفيها ورد الأخبار بأن منكو خان وهو ابن لوي بن جنكيز خان قد وقع تتويجه وإعلانه خانًا أعظم للمغول والتتر، وأنه سير أخاه قوبيلاي للصين وأخاه هولاكو لأخذ فارس والعراق[9].

وفي ظل اقتراب الخطر المغولي وزيادة طمع الملك الناصر صاحب حلب والشام في مصر ثبت الملك المعز أيبك نفسه في السلطنة وحده، فأزال اسم الملك الأشرف موسى من الخطبة

---

(1) النويري، نهاية الأرب، جـ29، ص 423؛ المقريزي، السلوك، جـ1، ص 381.
(2) السلوك، جـ1، ص 381.
(3) السلوك، جـ1، ص 381-382.
(4) نهاية الأرب، جـ29، ص 423.
(5) السلوك، جـ1، ص 382.
(6) السلوك، جـ1، ص 382.
(7) نهاية الأرب، جـ29، ص 426.
(8) ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر، جـ8، ص 22؛ المقريزي، السلوك، جـ1، ص 382-383.
(9) السلوك، جـ1، ص 383-384.

وأبطل اسمه من نقش السكة (العملة)، وسجنه، واستولى على الخزائن، ووافقه الأمراء على ذلك[1]. وشرع في تحصيل الأموال، فأحدث وزيره شرف الدين هبة الله بن وهيب الفائزي ضرائب جديدة، وقرر علي التجار وعلى أصحاب العقار أموالًا، ورتب مكوسًا (ضرائب) وضمانات سماها الحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية[2] وأخذ الضرائب وأخذ الضرائب المقررة على أهل الذمة والمسماة الجوالي مضاعفة، وغير ذلك من المظالم[3].

وفيها أمّر الملك كبار مماليكه، ورتب سيف الدين قطز نائب السلطنة بديار مصر وكان أكبرهم وأقدمهم عنده هجرة وأعظمهم لديه أثرة[4]"، وقويت شوكة البحرية وزاد شرهم وطغيانهم وكثر تمردهم، وصار كبيرهم الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار الصالحي ملجأً لهم يسألونه في حوائجهم. ويكون هو المتحدث مع الملك المعز[5].

وكان النيل عاليًا في هذه السنة وبلغ قياس غاية الفيضان في مقياس النيل بجزيرة الروضة 18 ذراعًا و17 إصبعًا، وسد باب البحر عند المقس[6].

وفيها وقع بمدينة حلب حريق عظيم ظهر أنه من الفرنج وتلف فيه أموال لا تحصى واحترقت ستمائة دار[7]، وحج في هذه السنة ركب العراق وكانوا لم يحجوا منذ وفاة الخليفة المستنصر بالله سنة 640هـ/ 1242م[8].

وخرجت السنة والملك المعز والعساكر بالسانح بالشرقية، وعساكر الشام بغزة، والملك الناصر مقيم بدمشق، والملك المغيث عمر بالكرك[9].

حوادث وأخبار سنة 651هـ/ 1253م

فيها تقرر الصلح بين الملك المعز أيبك وبين الملك الناصر صاحب دمشق بسفارة نجم الدين البادرائي، وقد قدم نجم الدين إلى القاهرة وصحبته عز الدين أزدمر وكاتب الانشاء

---

(1) السلوك، جـ 1، ص 384؛ العيني، عقد الجمان، جـ 1، ص 66، 68.
(2) بيبرس المنصوري الدوادار، زبدة الفكرة في طلب الهجرة، ص 6؛ المقريزي، السلوك، جـ 1، ص 384.
(3) السلوك، جـ 1، ص 384.
(4) بيبرس المنصوري الدواداري، زبدة الفكرة، ص 7؛ العيني، عقد الجمان، جـ 1، ص 68.
(5) المقريزي، السلوك، جـ 1، ص 384.
(6) نفسه.
(7) نفسه؛ العيني، عقد الجمان، جـ 1، ص 69.
(8) السلوك، جـ 1، ص 384؛ عقد الجمان، ص 71.
(9) السلوك، جـ 1، ص 384.

ببغداد نظام الدين أبو عبد الله محمد بن المولى الحلبي لتمهيد القواعد، فلم يبرحا إلى أن انفصلت القضية: على أن يكون للمصريين إلى نهر الأردن وللناصر ما وراء ذلك، وأن يدخل فيما لهم غزة والقدس ونابلس والساحل كله، وأن المعز يطلق جميع من أسره من أصحاب الملك الناصر، وحلف كل منهما على ذلك وكتبت به العهود، وعاد الملك المعز وعسكره إلى قلعة الجبل في يوم الثلاثاء سابع صفر 651هـ/ 8 أبريل 1253م[1].

فأفرج الملك المعز عن الملك المعظم تورانشاه بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وعن أخيه نصرة الدين، والملك الأشرف صاحب حمص، وأولاد الملك المصالح عماد الدين اسماعيل وغيرهم من الأمراء الذين كانوا قد أُسِروا في المصاف (المعركة بمنزلة الكراع بالشرقية) الكائن في سنة 648هـ، ثم قدم الملك المعز أيبك للملك المعظم تقدمة سنية، وأعطى نظام الدين بن المولى ورفيقه عز الدين أزدمر عشرة آلاف دينار[2].

وفيها قويت طائفة المماليك البحرية وكبيرهم أقطاي وكثر تعنتهم واستطالتهم على الملك المعز فخشى منهم[3].

وفيها تسلم المصريون قلعة الشوبك من نائب الملك المغيث، ولم يبق مع الملك المغيث سوى الكرك والبلقاء وبعض الغور[4].

وفيها قطع خبز – أي إقطاع- الأمير حسام الدين ابن أبي علي، فلزم داره، ثم طلب الإذن من الملك المعز ليزور القدس فأذن له، ثم هرب من هناك إلى الملك الناصر بدمشق فأكرمه، وأعطاه إمرة خمس مائة فارس حسبما ذكر ابن أيبك أو مائة حسبما ذكر المقريزي[5].

وفي تلك الأيام زادت شوكة الأمير فارس الدين أقطاي وعظم قدره، والتفت عليه المماليك البحرية[6]، فصار يركب كهيئة السلطان وحدثته نفسه بالملك، وكان أصحابه

---

(1) النويري، نهاية الأرب، جـ29، ص 426؛ أبو الفدا، المختصر، جـ3، ص 225؛ المقريزي، السلوك، جـ1، ص 385-386؛ ابن أيبك، كنز الدرر، جـ8، ص 23.

(2) نهاية الأرب، جـ29، ص 427؛ السلوك، جـ1، ص 386؛ النجوم الزاهرة، جـ7، ص 10.

(3) بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص 10؛ المقريزي، السلوك، جـ1، ص 386.

(4) ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر، جـ8، ص 23.

(5) كنز الدرر، جـ8، ص 23؛ السلوك، جـ1، ص 386.

(6) بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص 10.

يسمونه "الملك الجواد" فيما بينهم، كل ذلك والمعز سامع مطيع على مضض، وفكر في التخلص منه[1].

ولمزيد من الرفعة والسمو لدرجة الملوك "أرسل إلى الملك المظفر صاحب حماة يلتمس وصلته ويخطب إليه ابنته، وكان الرسول إليه الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين المعروف بابن حِنَّا، ولم يكن والده وُزِّر بعد وإنما كان مرشحًا لذلك، فلما وصل إلى صاحب حماة تلقاه بالإجلال وإجابة السؤال، وجهز ابنته بما يليق بمثلها[2]".

"فسمت نفس الأمير فارس الدين وعلت رتبته وكثرت أتباعه وشيعته، وأنعم على البحرية وغيرهم من الخوشداشية بالإقطاعات والصلات والإطلاقات، فكانوا لا يعبأون بالمعز، ولا يلبسونه ثوب عز، بل يهتضمون جانبه، ويعطلون مراسيمه ومآربه، وينتقصون حرمته ويغضون منه، وهو يُسِرُّ ذلك كله ويخفيه، ويضمره في نفسه ولا يبديه، وأعمل الحيلة على قتل الأمير فارس الدين أقطاي لأنه الرأس، وإذا قتله لا يثبت بنيان البحرية بغير أساس، فانقضت هذه السنة وهم على هذه الحال، والبحرية منهمكون على اللذات والصيد، والمعز ينصب لهم حبائل الكيد[3]".

وتحدث أقطاي مع الملك المعز أيبك أنه يريد أن يسكن عروسه في قلعة الجبل لكونها من بنات الملوك ولا يليق سكناها بالبلد، فاستشعر المعز منه بما عزم عليه وأخذ يدبر أمره وعمل على قتله فلم يقدر على ذلك تلك السنة[4].

وفي هذه السنة قتل أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة صاحب مكة في الثالث من شعبان[5]. وفيها أخذ الشريف جماز بن حسن مكة وأقام بها إلى آخر ذي الحجة[6].

حوادث وأخبار سنة 652هـ/ 1254م

انتهز العربان بالصعيد انشغال المماليك بالصراعات والمعارك التي صاحبت انشاء دولتهم وعدم التفاتهم إليهم من التمكن من البلاد سواء في الوجه البحري أو الوجه القبلي،

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ7، ص 11.
(2) بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص 10.
(3) زبدة الفكرة، ص 10.
(4) المقريزي، السلوك، جـ1، ص 388.
(5) النويري، نهاية الأرب، جـ29، ص 427.
(6) المقريزي، السلوك، جـ1، ص 389.

وكثر شرهم وزاد طغيانهم وبغيهم، وحصل لأهل القرى المصرية منهم من أنواع الأذى ونهب الأموال والتعرض إلى الحريم وأمثال ذلك مالا حصل من الفرنج أكثر منه[1].

واجتمعوا على الشريف حصن الدين بن ثعلب الجعفري وأطاعوه ظاهرًا وانقادوا له، إلا أنه لا يستطيع دفعهم عن كل ما يقصدونه من أذى وأخذ أموالهم، وكثرت جموعهم معه حتى زادوا على اثنى عشر ألف فارس وستين ألف رجل بالسلاح والعدد، فلما تم الصح بين الملك المعز أيبك وبين الملك الناصر يوسف تفرغ أيبك من جهة الشام وصرف فكرته إلى جهة العربان، وانتدب لحربهم الأمير فارس الدين أقطاي، واستشار الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحي في عدة العسكر الذي يقوم بحربهم فأشار بانتخاب ألفي فارس من العسكر، والتزم أنه يفرق بهذه العدة جموعهم ويبيدهم بها[2].

فانتخب الأمير فارس الدين هذه العدة من العسكر وتوجه بهم وصحبته الأمير عز الدين المذكور وتوجه إلى جهة الصعيد، وقصد العربان وكانوا قد اجتمعوا بمكان يسمى الصلعا بمنشأة إخميم بسوهاج في البر الغربي وهي أرض وسيعة تسع عدتهم، فساق الأمير فارس الدين ومن معه من العسكر من جهة الحاجر بالبر الغربي سوقًا عظيمًا ما سمع الناس بمثله وانتهى إليهم بعد أن اجتهد في السرعة ليصل إليهم في ثلاثة أيام، وطلع عليهم في صبح اليوم الرابع ودهمهم بغتة بهذا المكان، فلما شاهد كثرتهم كاد يقف عن ملاقاتهم، وأنكر على الأمير عز الدين وقال: لقد غششتنا، فإن هذه العدة التي معنا لا تقوم بهذه الجموع الكثيرة، فقوى نفسه وقال: أنا أعرف هؤلاء وهذه بلاد ولايتي وحمل عليهم، ورمتهم العسكر بالنشاب، فما كان السهم يقع إلا في أحدهم، فما كان بأسرع من أن انهزموا أقبح هزيمة وأخذهم السيف، وتفرقت تلك الجموع واختفوا، وغيروا لبسهم، وقتل منهم في المعركة والمطاردة خلق كثير[3].

لما عاين الشريف حصن الدين انهزام أصحابه بادر بالهزيمة وحمل معه ألف دينار واستصحب حظية له وتوجه إلى الوجه القبلي، ثم قبض عليه بعد ذلك.. وعاد الأمير فارس الدين إلى القاهرة بعسكره ومعه جماعة من العربان من جملتهم ابن عم الشريف حصن الدين، فشنق تحت قلعة الجبل[4].

---

(1) نهاية الأرب، جـ29، ص 427.
(2) النويري، نهاية الأرب، جـ29، ص 428.
(3) نهاية الأرب، جـ29، ص 428-429.
(4) نهاية الأرب، جـ29، ص 429.

- هذا وقد أخطأ المقريزي عندما ذكر تلك الحملة على العربان في حوادث سنة 651هـ/ 1253م، وذكر أن العرب جميعًا من بحري وقبلي التفوا على حصن الدين ثعلب وأعلنوا العصيان، كما أخطأ عندما ذكر=

وبدلًا من تكريم الملك المعز للأمير فارس الدين أقطاي لإخماده فتنة الشريف ابن ثعلب جزاه جزاء سنمار وقتله، وقد ذكرنا من قبل قوة شوكة أقطاي ومماليكه وتطاولهم، وأن كلمة أقطاي أصبحت مجابة بلا تردد من المعز، فقد طلب أقطاع الاسكندرية فنالها، وتطاول البحرية أتباعه واشتطوا في طلب الإقطاعات والزيادات، واتصل بالملك المعز أنهم يدبرون عليه وقد عزموا على الوثوب، فبادر عند ذلك بالتدبير والاحتياط[1]، وقرر التغدي بأقطاي قبل أن يتعشى الأخير به، فدبر مؤامرة لقتله.

ففي يوم الاثنين 21 شعبان[2] 652هـ/ 5 أكتوبر 1254م استدعاه السلطان على العادة موهمًا له أنه يستشيره في مهمات من الأمور، وكمن له عدة من مماليكه بقاعة الأعمدة بالقلعة وقرر معهم أنه إذا عبر إليهم يغتالوه، فحضر في نفر يسير ثقة منه واسترسالًا واطراحًا لجانب السلطان، وأنه لا يجسر أن يقدم عليه، ولم يشعر به خوشداشيته[3]، فلما قرب منع مماليكه من الدخول معه، ووثب عليه المماليك المعزية فقتلوه[4].

وروى المؤرخ ابن أيبك الدواداري الذي كان أبوه مملوكًا لفارس الدين أقطاي في تلك الأيام واشترك في هذه الحوادث، فقال في خبر مقتل الفارس أقطاي بتفصيل يغلب عليه الطابع الروائي: "كان قد ركب إلى قلعة الجبل في يوم مقتله، واجتمع بالسلطان وطلب منه أن

=أن خروجهم ومطاردتهم وهزيمتهم كانت بناحية ذروة بالوجه البحري بالمرتاحية والدقهلية، ولكن الصحيح أنها كانت بالوجه القبلي حسبما ذكر النويري.
أنظر: السلوك، جـ 1، ص 386-388.

(1) النويري، نهاية الأرب، جـ 29، ص 430.

(2) جاء في نهاية الأرب، جـ 29، ص 430 عن تاريخ قتل أقطاي أنه كان يوم الاثنين حادي عشر شعبان، وهو تحريف من ناسخ الكتاب بلا شك والصحيح هو حادي وعشرين شعبان، لأن شعبان بدأ يوم الثلاثاء، كما ذكر المقريزي تاريخًا أخر لقتل أقطاي هو يوم الأربعاء ثالث شعبان، وهو خطأ أيضًا لأن شعبان بدأ بيوم الثلاثاء.

(3) الخوشداش كلمة فارسية معناها الزميل، وهذا التعبير شائع بين المماليك، فكل مجموعة منهم تتبع سيدًا واحدًا يدينون له بالولاء وتربطهم روح الزمالة والتماثل في التبعية، وظل هذا الاصطلاح مستعملاً طوال العصر المملوكي.

(4) نهاية الأرب، جـ 29، ص 430؛ بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص 12؛ ابن أيبك، كنز الدر، جـ 8، ص 26؛ المقريزي، السلوك، جـ 1، ص 390؛ العيني، عقد الجمان، جـ 1، ص 85.

ينعم علي بعض البحرية بمال، فاعتذر الملك المعز أن الخزائن قد خلت من الأموال وقال له: توجه بنا إلى الخزانة لنشاهدها ونتحقق حالتها، فتوجها جميعًا إلى الخزانة من جهة الدور (السلطانية)، وإنما فعل المعز ذلك لأن الوصول إلى الخزانة من جهة الدور ضيق المسلك ويمر المار على بعض قاعات الحريم فلا يمكن استصحاب الكثير من المماليك، وكان الملك المعز قد كمن في عطفة من عطفات الدهاليز مملوكه سيف الدين قطز ومعه عشرة من المماليك المعزية من ذوي القوة والإقدام، فلما وصلوا إلى ذلك المكان تأخر السلطان واسترسل الأمير فارس الدين على ما هو عليه وتقدم إلى المكان، فوثبوا عليه وقتلوه. قال: وأمر الملك المعز بغلق قلعة الجبل فغلقت[1]".

وركب مماليكه وحاشيته وكانوا نحو سبعمائة فارس وقصدوا قلعة الجبل وظنوا أنه قد قبض عليه ليطلقوه، فلما صاروا تحت القلعة أمر السلطان أيبك بإلقاء رأسه إليهم من أعلى السور، فعلموا فوات الأمر فيه فتفرقوا وتفرق شمل البحرية لمقتله[2].

فأجمعوا أمرهم على التوجه إلى الشام وكان معهم الأمراء الأعيان الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري والأمير سيف الدين قلاوون الألفي والأمير شمس الدين سنقر الأشقر والأمير بدر الدين بيسري الشمسى والأمير سيف الدين سكز والأمير سيف الدين برامق وغيرهم، وخرجوا ليلًا فوجدوا الباب الذي قصدوا الخروج منه من القاهرة منغلقًا فأضرموا فيه نارًا محرقًا وهو الباب المعروف بباب القراطين[3]، فعرف بعد ذلك بالباب المحروق إلى اليوم، وغالبهم قصدوا الملك الناصر بدمشق ليكونوا عنده من جملة العساكر، ومنهم من قصد الملك المغيث بالكرك، ومنهم من أقام ببلاد الغور والبلقاء والكرك والشوبك يقطع الطريق ويأكل بقائم سيفه[4].

---

(1) كنز الدرر، جـ8، ص 26؛ نهاية الأرب، جـ29، ص 431.

(2) ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر، جـ8، ص 26؛ النويري، نهاية الأرب، جـ29، ص 431-432.

(3) اختار الهاربون هذا الباب من أبواب القاهرة للخروج منه لأنه يفتح على شرق القاهرة حيث الترب والصحراء مما يسهل هروبهم ولا يعترضهم أحد.

(4) بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ص 12-13؛ المقريزي، السلوك، جـ 1، ص 390-391؛ العيني، عقد الجمان، جـ 1، ص 87.

ولما أصبح المعز بلغه تسحبهم من المدينة، فأمر بالحوطة على املاكهم وأموالهم ودورهم وغلالهم ونسوانهم وغلمانهم وأتباعهم وأشياعهم، وبدل من كان معتزًا بهم ومعتزيًا لهم بعد العز ذلاً وهوانًا، وبعد المهابة ذلاً وامتهانًا، واستصيفت أموالهم وذخائرهم وشونهم، واستتر من تأخر منهم، واختفى من انقطع من الأتباع عنهم، وحمل من موجود الأمير فارس الدين أقطاي الحمل الكثير من الأموال لبيت المال، وانقضى ما كان فيه كظل قد مال. ونودي عليهم في الأسواق والشوارع، وفي الطرقات والقوارع، وتهدد من يأوي منهم أحد أو يمد إلى نصرتهم يدًا بأنواع التهديد وشديد الوعيد، وتمكن الملك المعز من المملكة وزالت عنه الأراء المشتركة، وارتجع ثغر الاسكندرية إلى الخاصات السلطانية، وأبطل ما قرره من الجبايات، ووزعه من الجنايات، وأعفى الرعية من المطالبات والمصادرات[1].

"أما البحرية فإنهم لما وفدوا على الملك الناصر أحسن إليهم، وأقبل عليهم، وأولاهم برًّا ولطفًا وتقربًا وعطفًا، ووسعتهم مكارمه وأعطى كل منهم إقطاعًا يلائمه، ثم عزم على التجريد إلى الديار المصرية، فجرد عسكرًا من العساكر الشامية صحبة من توجه إليه من البحرية، فساروا ونزلوا بالغوار، ثم انتقلوا إلى الأغوار، واتخذوا العوجا منزلًا للاستقرار، وبلغ الملك المعز مسيرهم إليه، واتفاقهم عليه، برز بالعساكر المصرية ومعه جماعة من حضر إليه من العزيزية، فنزل الباردة بالقرب من العباسة بالشرقية، وانقضت هذه السنة وهو مخيم بها[2]".

ومن البحرية فريق هرب إلى السلطان علاء الدين ملك سلاجقة الروم بشرق أسيا الصغرى ومنهم: قشتمر العجمي وشارباش العجمي وسنجر الجاودي والركن الفارقاني وسنقر الجبيلي وسنقر الحبيشي الكبير والحبيشي الصغير الحاجب والصقيلي والغتمي وبلبان النجمي وبكمش المسعودي وأبو عبيه والنميسي وفخر الدين ماما وأيدمر الجمدار الرومي وسنقر الركني والحسام قريب سكز وأيدغدي الفارسي وبلبان الزهيري وسنجر البدري وأزدمر السيفي وأزدمر البواشقي مملوك الرشيدي الكبير والعينتابي والمستعرب وسنقر البديوي وأيبك الشقاري وأيدغدي فقنة وسيف الدين الأشل والخولاني وسنجر الشكاري والمطروحي وأيبك الفارسي وإياس المقري في جماعة كبيرة من المماليك الصغار الجمدارية

---

(1) بيبرس المنصوري الدوادار، زبدة الفكرة، ص 13.

(2) نفسه.

الصالحية، وكان الحاكم المقدم على هؤلاء الأمير علم الدين سنجر الباشقردي – وهو أعقلهم وأعرفهم –، والأمير شمس الدين سنقر الجبيلي – وهو أقربهم وأشهرهم بالشطارة[1].

ومن الأخبار الطريفة المتعلقة بهروب المملوك أيبك وزميله سنقر الكبير والاثنى عشر مملوكًا الذين معهما، قصة رواها المؤرخ عن أبيه –قد لا تخلو من مبالغة كعادته في تاريخه– تتعلق باكتشافهم مدينة سموها المدينة الخضراء، وهي بلا شك مدينة البتواء الأثرية بالأردن، قال: "قال أيبك: فطلعنا من القاهرة في الليل، وقصدنا البرية خشية المطاردة والتتبع، فأوقعنا الله تعالى في تيه بني إسرائيل، فبقينا خمسة أيام في التيه وشربنا ما كان معنا من الماء وأشرفنا على الهلاك، ولم نزل سائرين طول الليلة الخامسة إلى أن طلعت الشمس علينا في اليوم السادس، فلاح لنا على بعد سواد صفة عمارة، فقصدناها فأتيناها الظهر، وقد هجرت علينا الأرض، ووقفت خيلنا من العطش، فوجدنا مدينة بأسوار وأبواب جميعها زجاج أخضر، فدخلناها فوجدنا الرمل السافي ينبع من الأرض كنبع الماء حتى وصل إلى السقوف بتلك الآدر، وكذلك الأسواق، وبعضها ليس فيها رمل، ودكاكين على حالها مفتحة وفيها قماش، فلمسناه فعاد كالهبا وكذلك جميع ما نلمسه فيها، والنحاس يتفتت كالرمل، ففتشناها جهد الطاقة فوجدنا في دكان صينية نحاس وفيها ميزان، فحين لمسناه تفتت في أيدينا، ثم وجدنا في تلك الصينية تسع دنانير ذهب لم تتغير منقوش عليها صورة غزال وحوله أسطر عبرانية، وبقينا في تلك المدينة ونحن ما لنا همّ إلا التدوير على الماء، فوجدنا في دكان أثر رشح، فحفرنا هناك تقدير ذراعين، فظهرت بلاطة خضراء، فقلعناها فوجدناه صهريجًا فيه ماء أبرد من الثلج، فشربنا وسقينا خيلنا وحمدنا الله تعالى على ذلك، ثم حطينا ونحرنا هجينًا وشوينا لحمه وأكلنا واسترحنا ذلك اليوم، ثم اجتهدنا في تلك المدينة على أن نلقي فيها شيئًا من المال فلم نجد غير تلك التسعة دنانير، ثم خرجنا وملينا أوعيتنا من ذلك الماء وسرنا ونحن لا تعرف أين نتجه، فبقينا كذلك يوم وليلة.

فأوقعنا الله على قبيلة عرب من بني مهدي عرب الكرك، فأخذونا وطلعوا بنا الكرك إلى الملك المغيث، فرسم لنا بإقامة، ونزلنا في الربط، ثم قصدنا دكان يهودي صيرفي شيخ،

---

[1] المقريزي، السلوك، ج 1، ص 391-392.

فأصرفنا منه دهيب كان معنا، ثم أوريناه دينار من تلك الدنانير، فلما رآه صرخ وغشي عليه ساعة، ثم أفاق فسألناه فقال: هذا الذهب ضرب في أيام نبينا موسى بن عمران، فمن أين لكم هذا؟ فحكينا له أمرنا. فقال: صدقتم. والله هذه المدينة الخضراء بنيت – لما كان موسى صوات الله عليه وبني إسرائيل في التيه- بالزجاج الأخضر عوضًا عن الحجارة، ولها طوفان من رمل ينبع نبعًا فتارة يزيد وتارة ينقص، وهي مخفية في علم الله تعالى، وفي كل حين يراها بعض الناس صدفة، فهل معكم أكثر من هذا الدينار؟ فأريناه التسعة دنانير، فشرا منا كل دينار بمائة درهم نقرة وأضافنا وأكرمنا، وعادت اليهود يضيفوننا، ونحدثهم بما رأيناه، ويتبركون بنا مدة مقامنا بالكرك[1]".

ولما قتل الأمير فارس الدين أقطاي وهرب البحرية ومماليكه شعر المعز أيبك بالاستقلال والتحكم في الدولة، وكان قد أزاح شريكه الملك الأشرف موسى من الملك واستقل بالسلطنة وأنفرد بالأمر، وركب بشعار السلطنة بالقاهرة وذلك في يوم الأحد 27 شعبان 652هـ/ 11 أكتوبر 1254م[2].

---

[1] ابن أيبك، كنز الدرر، جـ 8، ص 26-28؛ المقريزي، السلوك، جـ 1، ص 391؛ العيني، عقد الجمان، جـ 1، ص 88-89.

[2] قال النويري بالحرف: "ولما قتل الأمير فارس الدين أقطاي، وهرب البحرية ومماليكه، ركب السلطان الملك المعز بشعار السلطنة بالقاهرة، وذلك يوم الأحد 27 شعبان المذكور (652هـ/ 11 أكتوبر 1254). وجهز الملك الأشرف الذي كان قد شركه معه في الملك إلى دمشق – في هذا الشهر واستقل بالسلطنة، وانفرد بالأمر، بعد مقتل الأمير فارس الدين أقطاي".
نهاية الأرب، جـ 29، ص 432.

• أي أنه جعل هذا التاريخ هو تاريخ انفراده بالسلطنة. وعلق على ذلك بقوله: "ومن المؤرخين من جعل هذا التاريخ ابتداء سلطنة الملك المعز وجعله فيما مضى أتابكًا للملك الأشرف مظفر الدين موسى، إلا أن الأمر منذ خلعت شجر الدر نفسها كان للملك المعز مع تمكن الأمير فارس الدين أقطاي من الدولة وتحكمه". (نهاية الأرب، جـ 29، ص 432).

** هذا بينما ذكر المقريزي في حوادث سنة 650هـ/ 1252م ما نصه "وانفرد باسم السلطنة، وسجن الأشرف، واستولى على الخزائن.." السلوك، جـ 1، ص 384.

*** وأنا اتفق مع ما ذكره المقريزي، وأن ما حدث بعد مقتل أقطاي هو تسفير الأشرف موسى إلى دمشق أولًا حسبما ذكر النويري أو تسفيره إلى بلاد الأشكري (الدولة البيزنطية) حسبما ذكر المقريزي في الحوادث بعد مقتل أقطاي.
السلوك، جـ 1، ص 394.

وخاف المعز من التجاء البحرية إلى الملك الناصر خوفًا من حثهم له على غزو مصر، فكتب إليه يوهمه منهم ويخوفه عاقبة شرهم، ولكن الناصر طلب منه البلاد التي مقطعة لهم بالساحل، فأعادها المعز إلى الملك الناصر استرضاءًا له ولحرصه على دوام الصلح بينهما، فأقر كل إقطاع منها بيد من كان له وكتب مناشيرها عنه للبحرية، وأقاموا في خدمته إلى سنة 655هـ[1].

وكذلك كتب المعز أيبك إلى السلطان علاء الدين السلجوقي ملك سلاجقة الروم يخوفه من البحرية الذين التجأوا إليه، وقد كتب المقريزي بأسلوب روائي ذلك بما يلي: "وكتب المعز إلى سلطان الروم بأن البحرية قوم مناحيس أطراف لا يقفون عند الأيمان ولا يرجعون إلى كلام من هو أكبر منهم، وإن استأمنتهم خافوا وإن استحلفتهم كذبوا وإن وثقت بهم غدروا، فتحرز منهم على نفسك فإنهم غدارون مكارون خوانون ولا آمن أن يمكروا عليك، فخاف سلطان الروم منهم وكانوا مائة وثلاثين فارسًا فاستدعاهم وقال: يا أمراء مالكم ولأستاذكم؟ فتقدم الأمير علم الدين سنجر الباشقردي وقال: يا مولانا من هو أستاذنا؟ قال: الملك المعز صاحب مصر. فقال الباشقردي: يحفظ الله مولانا السلطان، إن كان الملك المعز قال في كتابه أنه استاذنا فقط أخطأ، إنما هو خوشداشنا (زميلنا) ونحن ولیناه وأحق بالمملكة، فقتل وغرق بعضنا فهربنا منه وتشتتنا في البلاد ونحن التجأنا إليك، فأعجب سلطان الروم بهم واستخدمهم عنده[2]".

وفيها أقطع الملك المعز أيبك الأمير علاء الدين أيدغدي العزيزي زيادة على إقطاعه، وكان متحصلها يومئذ ثلاثين ألف دينار[3]. وفيها خرج الملك المعز من قلعة الجبل بالعساكر وخيم بالباردة قرب العباسة بالشرقية خوفًا من البحرية لنزولهم بالعوجاء[4].

وفيها سفر الملك المعز أيبك الأشرف موسى بن الناصر يوسف بن الملك المسعود شريكه السابق إلى بلاد الاشكري – أي بلاد الامبراطور البيزنطي – منفيًا[5].

---

(1) نهاية الأرب، جـ29، ص 434؛ السلوك، جـ1، ص 393.

(2) السلوك، جـ1، ص 393.

(3) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص 12؛ السلوك، جـ1، ص 394؛ نهاية الأرب، جـ29، ص 432.

(4) السلوك، جـ1، ص 394.

(5) السلوك، جـ1، ص 394.

وفيها عُزل قاضي القضاة بدر الدين السنجاري عن تدريس المدرسة الصالحية بالقاهرة المعزية، وفوض ذلك لشيخ الاسلام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، وتوجه السنجاري إلى الحجاز الشريف من جهة البحر وعاد إلى البر[1].

حوادث وأخبار سنة 653هـ/ 1255م

أهم حوادث هذه السنة هو العصيان ببلاد الصعيد، وذلك أنه عندما عصا الأعراب هناك العام الماضي؛ وأخمد الفارس أقطاي ثورتهم وعصيانهم، كان مصاحبًا له في حملته الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحي، وقد بقي هناك بعد رجوع أقطاي ليمهد البلاد، فلما علم بمقتل أقطاي أعلن العصيان واستولى على الأعمال القوصية بموافقة متوليها الأمير ركن الدين الصيرمي، واستولى أيضًا على الأعمال الإخميمية والأسيوطية، وقطع الحمول عن بيت المال بقلعة الجبل من هذه الأعمال، واقتطع الأموال لنفسه، ووافقه الشريف حصن الدين بن ثعلب[2].

فأخرج له المعز أيبك حملة بقيادة الوزير الصاحب شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي، وطاردوا العصاة بالصعيد فظفروا بالشريف حصن الدين بن ثعلب، فأحضره إلى السلطان فاعتقله بقلعة الجبل، ثم نقله إلى ثغر الاسكندرية فاعتقل في جب تحت الأرض يعرف بجب الشريف، فلم يزل في الاعتقال إلى أن شنقه السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس فيما بعد[3]. أما عز الدين الأفرم فلم يأت في كتاب النويري ما حدث له لوجود نقص في المصدر الذي نقل عنه، وأما الأمير ركن الدين الصيرمي –متولي الأعمال القوصية– فإنه هرب وتوجه إلى دمشق والتحق بخدمة السلطان الملك الناصر، وكان وصوله إلى دمشق في جمادي الآخرة سنة 654هـ/ يوليو 1256م بعد أن نهبت أمواله وقتلت رجاله[4].

وفيها عزمت الأمراء والمماليك العزيزية المقيمون في مصر مع المعز أيبك في الانقلاب عليه فعلم بذلك وقبض على زعمائهم فهرب الباقون، وقتل منهم الأمير علاء الدين أيدغدي العزيزي، وسجن الفارس أقطاي العزيزي والفارس أقطاي الأتابك، وهرب أقوش الركني[5].

---

(1) النويري، نهاية الأرب، جـ29، ص 433.

(2) نهاية الأرب، جـ29، ص 439؛ بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص 16.

(3) النويري، نهاية الأرب، جـ 29، ص 439؛ بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص 16.

(4) نهاية الأرب، جـ29، ص 440.

(5) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ3، ص 229؛ المقريزي، السلوك، جـ1، ص 397.

وفي هذه السنة جهز الملك الناصر صاحب الشام العساكر نحو ديار مصر وصحبتهم البحرية الذين كانوا قصدوه من مصر عند قتلة الفارس أقطاي وهم: بلبان الرشيدي، أزدمر السيفي، سنقر الألفي الرومي، سنقر الأشقر، بيسري الشمس، قلاوون الألفي، بلبان المسعودي، بيبرس البندقداري، فهؤلاء كبارهم المذكورين ومعهم جماعة كبيرة من البحرية ومن مماليك الفارس أقطاي، وساروا ونزلوا الفوار ثم العوجا، وكان الملك الناصر قد أقبل عليهم غاية الإقبال وأقطعهم الإقطاعات الجياد، فلما بلغ الملك المعز ذلك خرج وخيم بأم البارد عند العباسة بالشرقية، واستقر العسكران مقيمان بقية هذه السنة[1].

ومن الأخبار الاجتماعية التي وصلتنا عن هذه السنة أن الملك المعز أمر ألا تخرج امرأة ليلًا، ولا يمشي رجل بلا سراويل، فقال الشاعر أبو الحسين الجزار في ذلك:

حنا الملك المعز على الرعايا ... وألزمهم قوانين المروة
وصان حريمهم من كل عار ... وألبسهم سراويل الفتوة[2]

وفي هذه السنة طلب الملك الناصر داود من الملك الناصر يوسف دستورًا (إذنًا) بالحج في هذه السنة ثم الذهاب إلى العراق لاسترداد وديعته من الجواهر التي أودعها أمانة عند الخليفة العباسي المستعصم بالله وماطله في ردها، فأذن له، فسار إلى كربلاء ثم مضى منها إلى الحج، ولما رأى قبر النبي ﷺ تعلق في أستار الحجرة الشريفة بحضور الناس وقال: اشهدوا أن هذا مقامي من رسول الله ﷺ داخلًا عليه مستشفعًا به إلى ابن عمه المستعصم في أن يرد عليّ وديعتي، فأعظم الناس ذلك وجرت عبراتهم وارتفع بكاؤهم، وكتب بصورة ما جرى مشروحًا ورفع إلى أمير الحج العراقي كيخسرو وذلك يوم السبت 28 ذي الحجة 653هـ/ 29 يناير 1256م، وتوجه الناصر داود مع الحاج العراقي وأقام ببغداد[3]، فعوضه الخليفة عن جوهره بما لا يذكر[4].

وفيها قدم مكة أبونمى وإدريس ومعهما جماز بن شيحة أمير المدينة، فقاتلوا المبارز بن برطاس وأخذوا مكة[5].

---

(1) ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر، جـ8، ص 28-29.
(2) المقريزي، السلوك، جـ1، ص 397.
(3) أبو الفدا، المختصر، جـ3، ص 229-230.
(4) السلوك، جـ1، ص 397.
(5) السلوك، جـ1، ص 397.

حوادث وأخبار سنة 654هـ/ 1256م

وفي هذه السنة ظل العسكر الشامي على العوجا، والمصري على أم البارد والغارات والحروب مستمرة بينهما[1]، ثم رحل عسكر الشام من العوجا إلى غزة ونزلوا على تل العجول[2]، واتفق نزول رسول الخليفة وهو الشيخ نجم الدين البادرائي من قبل الخليفة المستعصم بالله ليجدد الصلح الأول بين الملك الناصر والملك المعز، فأرسل المعز القائد برهان الدين خضر لاستقباله فاستقبله في قطيا بشمال سيناء ومعه جماعة من أعيان الفقهاء حتى قدم به، فقرر الصلح على أن يكون للملك المعز ما كان للملك الصالح نجم الدين أيوب من الساحل ببلاد الشام مع ملك مصر، وأن الملك الناصر لا يأوي عنده أحدًا من البحرية، فمضوا إلى الملك المغيث بالكرك[3].

وفيها قبض المعز على الأمير علاء الدين أيدغدي العزيزي لأنه اتهمه فأمسكه وسجنه[4].

وأرسل الملك المعز أيبك الأمير شمس الدين سنقر الأقرع رسولًا إلى الخليفة ببغداد صحبة الشيخ نجم الدين البادرائي بتقدمة جليلة يلتمس تشريفه بالتقليد والخلع والألوية أسوة من تقدمه من ملوك مصر[5]، وفي نفس الوقت أرسل الملك الناصر صاحب الشام كمال الدين المعروف بابن العديم رسولًا إلى الخليفة وصحبته تقدمة جليلة وطلب خلعة من الخليفة لمخدومه، وذكر أبو الفدا أن الخليفة فضل ارسال الخلعة للمعز أيبك وقال في هذا الشأن: "إنه أحضر سكينًا من اليسم كبيرة وقال الخليفة لوزيره أعط هذه السكين رسول صاحب الشام علامة مني في أن له خلعة عندي في وقت آخر، وأما هذا الوقت فلا يمكنني، فأخذ كمال الدين ابن العديم السكين وعاد إلى الناصر يوسف بغير خلعة[6]، ولا أعتقد في صحة هذا الخبر، فماذا يضير الخليفة إذا أعطى الناصر يوسف خلعة أيضًا وتقليدًا له ببلاد الشام وخصوصًا وأنه أرسل البادرائي للصلح بين الملكين.

---

(1) ابن أيبك، كنز الدرر، جـ 8، ص 29.

(2) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص 19.

(3) المقريزي، السلوك، جـ 1، ص 397-398.

(4) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص 19.

(5) السلوك، جـ 1، ص 398؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ 3، ص 230؛ بيبرس الدواداري، زبدة الفكرة، ص 20.

(6) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ 3، ص 320.

وأضاف بيبرس المنصوري أن الخليفة نفذ ما طلب وأعاد الرسول مكرمًا، فلما وصل إلى الحسا والقطيف، وكان الملك المعز قد قتل واتصل مقتله بالخليفة، فأرسل من بغداد من استعاد التقليد والخلع من شمس الدين الأقرع وحضر إلى الديار المصرية بغير ذلك[1].

وفي هذه السنة فوض السلطان الملك المعز قضاء القضاة بمصر والوجه القبلي لقاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن القاضي أبي القاسم خلف بن محمود بن بدر العلامي المعروف بابن بنت الاعز، وكُتب له تقليدٌ شريف معزي تاريخه تاسع شهر رمضان، وكان قضاء مصر والوجه القبلي هذا جاريًا في ولاية قاضي القضاة بدر الدين يوسف السنجاري مع ما كان جاريًا له من قضاء القاهرة والوجه البحري، ثم بعد ثلاثة عشر يومًا عزل الملك المعز القاضي السنجاري من قضاء القاهرة والوجه البحري وضمهما أيضًا لابن بنت الأعز، "فكمل له بهذه الولاية قضاء القضاة بالمدينتين والعملين القبلي والبحري وسائر أعمال الديار المصرية، وعزل قاضي القضاة بدر الدين السنجاري من القضاء[2]" وقد سجل لنا النويري نصي التقليدين حيث شاهدهما بنفسه ونسخهما[3].

ومن الأخبار الهامة التي حدثت هذه السنة والتي ذكرها المؤرخ النويري بالتفصيل أنه في ليلة الأربعاء ثالث جمادي الآخرة منها/ 28 يونية 1256م حدوث زلزلة عظيمة بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وكان له عدة توابع، ويبدو أنه نتج عن هذه الزلازل نشاط لأحد البراكين الخامدة يوم الجمعة في طريق الحرة في رأس قريظة على طرايق السوارقية بين مكة والمدينة، فشاهد الناس نارًا عظيمة نتجت عن ذلك[4].

وفيها أرسل المعز أيبك إلى صاحبي حماة والموصل وهما الملك المنصور بن المظفر والملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ يخطب ابنتهما لنفسه، وبلغ ذلك شجر الدر والدة خليل الصالحية فأنكرته لأنه بها وصل إلى ما وصل وبوصلتها حصل من الدولة والهولة ما حصل، فدبرت على إعدامه وقررت قتله مع خدامها وخدمه[5].

---

(1) زبدة الفكرة، ص 20.

(2) النويري، نهاية الأرب، جـ29، ص 441.

(3) انظر الملحق الأول.

(4) انظر بالتفصيل: نهاية الأرب، جـ29، ص 449-454.

(5) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص 19.

ومن الحوادث الهامة التي حدثت بالمدينة المنورة أيضًا في هذه السنة أنه في ليلة الجمعة أول شهر رمضان/ 22 سبتمبر 1256م احترق المسجد النبوي الشريف من مسرجة القيم وذهب سائر سقوفه وبعض عمده واحترق سقف الحجرة الشريفة[1].

حوادث وأخبار سنة 655هـ وقتل السلطان المعز أيبك

أهم حدث في تلك السنة هو قتل الملك المعز عز الدين أيبك في يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول / 10 أبريل 1257م، وقد ذكر المقريزي أنه في هذه السنة تزايدت الوحشة بين الملك المعز أيبك وبين شجر الدر، فعزم على قتلها، وكان له منجم قد أخبره أن سبب قتلته امرأة، وكانت هي شجر الدر، وذلك أنه كان قد تغير عليها وبعث يخطب إبنة صاحب الموصل[2].

وقد أوجز النويري هذا الحدث بقوله: "وسبب ذلك –أي قتله– أن شجر الدر سرية الملك الصالح زوجته اتصل بها أنه سير يخطب ابنة صاحب الموصل[3] فتنكرت لذلك، وكان هو أيضًا قد تغير عليها بسبب امتناعها عليه وأنها هي التي ملكته الديار المصرية وسلمت إليه الخزائن، وعزم المعز على قتلها فلم يخفها ذلك، فبادرت بالتدبير عليه واتفقت هي ومحسن الجوجري الخادم ونصر العزيزي على قتله.

فلما كان في هذا التاريخ طلع الملك المعز من الميدان[4] إلى قلعة الجبل عقيب اللعب بالكرة، فأمر بإصلاح[5] الحمّام، وعبر إليها، فدخل عليه محسن الجوجري وغلام له شديد القوة فقتلوه في الحمام[6].

وشاع خبر مقتله في بكرة نهار الأربعاء، فسمّر محسن الجوجري الخادم وغلامه على باب قلعة الجبل، وأما نصر العزيزي فإنه هرب إلى الشام، وأُحضرت شجر الدر إلى أم نور الدين

---

(1) نهاية الأرب، جـ29، ص 454-455؛ المقريزي، جـ1، ص 399.

(2) السلوك، جـ1، ص 401.

(3) ذكر بيبرس الدوادار أنه أرسل يخطب بنتي صاحب حماه والموصل.
زبدة الفكرة، ص 24.

(4) هو الميدان الصالحي الذي كان يلعب فيه الكرة من فوق الحصان مع الأمراء والخواص وهي اللعبة المعروفة حاليًا باسم البولو، وكان هذا الميدان واقعًا في المكان الذي يشغله الآن ميدان الفلكي بباب اللوق بالقاهرة.

(5) يقصد تهيئة.

(6) نهاية الأرب، جـ29، ص 456.

بن الملك المعز، فمازالت تضربها هي وجواريها وخدمها – إلى أن ماتت، وألقيت من أعلى السور إلى الخندق[1]، ثم حملت ودفنت في تربتها المجاورة لمشهد السيدة نفيسة[2]".

وكان مدة سلطنة الملك المعز سبع سنوات تنقص شهرًا وأربعة أيام لأنه تولى السلطنة يوم السبت 29 ربيع آخر 648هـ/ 30 يوليو 1250م، وقتل يوم الثلاثاء 24 ربيع الأول 655هـ/ 10 أبريل 1257م، وكان عمره نحو ستين سنة[3].

وقد وصفه المؤرخون بأنه كان ملكًا حازمًا شجاعًا سيوسًا حسن التدبير مشهورًا بدين وكرم وجودة رأي، إلا أنه كان سفاكًا للدماء قتل جماعة من خوشداشيته (زملائه) بغير ذنب ليقيم ناموس ملكه، كما فرض ضرائب كثيرة أرهقت العباد، وأكثر من مصادرة أموال الناس وأملاكهم[4].

ووزر له الصاحب الأسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي وتمكن منه تمكنًا عظيمًا، وقدمه على العساكر وصرفه في الأموال[5]. وكان الوزير المذكور من قبط مصر.. وكان ظالم النفس أحدث في وزارته حوادث كثيرة ومكوسًا، واستناب القاضي زين الدين بن الزبير لفضيلته وكفاية ومعرفة باللغة التركية، وكان يحفظ له نظام المجلس. ولما قتل الملك المعز ملك بعده ولده الملك المنصور[6].

وكانت شجر الدر قد بعثت نصرًا العزيزي بهدية إلى الملك الناصر يوسف وأعلمته أنها قد عزمت على قتل المعز والتزوج به وتمليكه مصر، فخشي أن يكون هذا خديعة فلم يجبها بشيء. وبعث بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يحذر المعز أيبك من شجر الدر، وأنها باطنت الملك الناصر، فتباعد ما بينهما وعزم على إنزالها من القلعة إلى دار الوزارة[7].

وكانت شجر الدر قد استبدت بأمور المملكة ولا تطلعه عليها، وتمنعه من الاجتماع بأم ابنه علي وألزمته بطلاقها، ولم تطلعه على ذخائر الملك الصالح[8].

---

(1) هو الخندق المحيط بأسوار القلعة.

(2) نهاية الأرب، جـ29، ص 457.

(3) المقريزي، السلوك، جـ1، ص 404.

(4) النويري، نهاية الأرب، جـ29، ص 458؛ المقريزي، السلوك، جـ1، ص 369، 404؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ7، ص 4؛ المنهل الصافي، جـ3، ص 20.

(5) نهاية الأرب، جـ29، ص 458.

(6) نهاية الأرب، جـ29، ص 459؛ السلوك، جـ1، ص 404.

(7) السلوك، جـ1، ص 402.

(8) السلوك، جـ1، ص 402-403.

فأقام الملك المعز بمناظر اللوق[1] أيامًا حتى بعثت من حلف عليه، فطلع القلعة، وقد أعدت له خمسه ليقتلوه منهم محسن الجوجري وخدم يعرف بنصر العزيزي ومملوك يسمى سنجر.

فلما كان يوم الثلاثاء رابع عشري شهر ربيع الأول ركب من الميدان بأرض اللوق وصعد إلى قلعة الجبل آخر النهار، ودخل إلى الحمام ليلًا، فأغلق عليه الباب محسن الجوجري وغلام كان عنده شديد القوة ومعهما جماعة وقتلوه بأن أخذ بعضهم بأنثييه وبعضهم بخناقه، فاستغاث شجر الدر، فقالت: اتركوه. فأغلظ لها محسن الجوجري في القول وقال: متى تركناه لا يبقي علينا ولا عليك، ثم قتلوه[2].

وبعثت شجر الدر ف تلك الليلة إصبع المعز وخاتمه إلى الأمير عز الدين أيبك الحلبي الكبير وقالت له: قم بالأمر، فلم يجسر. وأشيع أن المعز أيبك مات فجأة في الليل، وأقاموا الصائح في القلعة، فلم تصدق مماليكه بذلك، وقام الأمير علم الدين سنجر الغتمي – وهو يومئذ شوكة البحرية وشديدهم – وبادر هو والمماليك إلى الدور السلطانية وقبضوا على الخدام والحريم وعاقبوهم فأقروا بما جرى، وعند ذلك قبضوا على شجر الدر ومحسن الجوجري وناصر الدين وصدر الباز، وفر نصر العزيزي إلى الشام[3].

فأراد مماليك المعز قتل شجر الدر فحماها الصالحية، ونقلت إلى البرج الأحمر بالقلعة، ثم لما أقيم ابن المعز في السلطنة حُمِلَتْ إلى أمه في يوم الجمعة سابع عشرينه[4]، فضربها الجواري بالقباقيب إلى أن ماتت في يوم السبت، وألقوها من سور القلعة إلى الخندق وليس عليها سوى سراويل وقميص، فبقيت في الخندق أيامًا، وأخذ بعض أرازل العامة تكة سراويلها، ثم دفنت بعد أيام وقد نتنت، وحملت في قفة بتربتها قريب المشهد النفيسي[5]".

وصلب محسن الجوجري على باب القلعة، ووسط تحت القلعة أربعون طواشيًا[6]، وصلبوا من القلعة إلى باب زويلة، قبض على الصاحب بهاء الدين بن حنا لكونه وزير شجر الدر وأخذ خطه بستين ألف دينار[7].

---

(1) مناظر اللوق هي الاستراحات المجاورة لميدان لعب الكرة (البولو) بباب اللوق الذي معروفًا بهذا الاسم حتى الآن.

(2) السلوك، ج 1، ص 403.

(3) السلوك، ج 1، ص 403.

(4) السلوك، ج 1، ص 403-404.

(5) السلوك، ج 1، ص 404.

(6) الطواشي هو المملوك أو العبد المخصي الذي يكون في خدمة الحريم.

(7) السلوك، ج 1، ص 404.

وكالعادة روى المؤرخ ابن أيبك الدواداري رواية قصصية مشوقة لقتل أيبك كان راويها برد بلجك جده لأمه، وهو رجل تركي قفجاقي، وذكر ابن أيبك أنه سمعها منه وهو يحكيها لوالده، وكان المؤرخ صغيرًا حينئذ، ونقلها عنه المقريزي وغيره من المؤرخين حيث قال جده المذكور: "كنت ممن مسكهم المعز لكونه كان بيني وبين بلبان الرشيدي خشداشية، فوشى بنا للمعز أن نحن نقصد التوجه لخشداشيتنا الذين على العوجا، فمسك منا تسعة نفر أنا من جملتهم، وقيدنا وسيرنا إلى القلعة، وكان فينا شخص من مماليك الملك الصالح يسمى أيدكين الصالحي. فلما علم إن نحن تحت الشباك الذي كانت تجلس فيه شجر الدر والخدام جلوس – فلما رأونا قاموا قائمين فسلمنا عليهم – قال ذلك الشخص المسمى بأيدكين: يا طواشي، خوند جالسة في الشباك؟ قال: نعم. قال: فخدم برأسه ورفع عينه إلى نحوها وقال بالتركي: المملوك أيدكين بشمقدار، والله ياخوند ما عملنا ذنب يوجب مسكنا إلا أنتي ستنا ودستّينا ولحمنا من نعمتك ونعمة السلطان الشهيد الملك الصالح، ولا أخطئنا إلا أنه سيّر يخطب بنت لؤلؤ صاحب الموصل، واتفق الحال أنه يتزوجها، فلما بلغنا ما هان علينا لأجلك فعتبناه في ذلك فتغير علينا لهذا السبب فمسكنا، فهذا ذنبًا ولا بد ما يظهر لك صحة كلامي. قال: فأومت بمنديل من الشباك معنى (أني سمعت كلامك). قال جدي رحمه الله: ثم أنزلونا الجب، فقال لنا أيدكين: إن كان قد حبسنا فقد قتلناه. فكان هذا أكبر أسباب قتله[1].

فلما عاد من وجهته التي كان فيها، تحققت صحة القول م ما كان في نفسها منه لتغيره عليها، ورتبت له في الحمام مملوك كان للفارس أقطاي يقال أن أسمه بلكان، وكان من القوة بالمكان الوافر، فلكم المعز أرماه وتعلقت الجوار بمعاريه، وبعضهم يرفسونه في خواصره، وشجر الدر تضربه بالقباقيب وهو يستغيث إليها وهي لا تقبل حتى فطس[2]".

ورثى سراج الدين الوراق الملك المعز أيبك بقصيدة منها:

نقـيم عليـه مأتمًـا بعـد مـأتم ونسـفح دمعًـا دون سـفح المقطـم

---

[1] كنز الدرر، جـ8، ص 32؛ السلوك، جـ1، ص 402.

[2] ابن أيبك، كنز الدرر، جـ8، ص 32-33.

ولو أننا نبكي على قدر فقده ... لدمنا عليه نتبع الدمع بالدم
وسل طرفا ينهيك عني أنني ... دعوت الكرى من بعده بالمحرم[1]

---

[1] ابن تغري بردي، المنهل الصافي، جـ 3، ص 28؛ النجوم الزاهرة، جـ 7، ص 19.

obeikandl.com